التعريف بالإســـــلام

وبيان أن الإسلام هو شريعة الله ﷻ ورسوله ﷺ

كتبه أبو علي المرضي

المسألة الأولى : تعريف الإسلام في اللغة :

الإسلام : مشتق من الفعل سَلِم يسلم إسلاماً وتسليماً واستسلاماً ومسالمة.

وفعل سلِم في اللغة يدور على معنيين :

١ – برء ونجا ووقى وخلص :

ومن هذا المعنى اسم الله ﷻ السلام ، فهو المبرأ السالم الخالص من العيوب والنقائص، والمسلّم لغيره المخلص والواقي والمنجي، وسميت الجنة دار السلام لسلامتها وخلوصها من الآفات،وسلمك الله وقاك ونجاك .

٢ – انقاد وأذعن وأطاع والتزم وامتثل وأخذ :

ومن هذا الإسلام وهو الانقياد والطاعة لله ، وامتثال أمره والتزامه، والإذعان له وإظهار الخضوع والقبول وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي ﷺ ، وهذا الذي يحقن الدم فإن كان معه تصديق ومحبة وإقرار بالقلب سمي إيماناً .

وقوله ﴿ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة: ١٣١ : أي : انقدت واستسلمت.

وهذا المعنى الإذعان والانقياد يعود في النهاية للمعنى الأول فإن الإسلام الذي هو الانقياد، سُمي بذلك لبراءته من الامتناع ولأنه يسلم ويخلص من الإباء والترك والاستكبار . ذكر ذلك الأزهري وغيره من أئمة اللغة .

مسألة : الإسلام يستعمل على وجهين :

١ – متعدٍ: ﴿ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ ﴾ آل عمران: ٢٠ وحديث: (أسلمت نفسي إليك).

٢ – لازم : كقوله : ﴿ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة: ١٣١ .

وقوله : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ آل عمران: ٨٣ .

وأسلم إذا تعدى فمعناه الإخلاص وإذا كان لازما فبمعنى الانقياد، ومعنى الإسلام لازماً يعود ويرجع إلى معناه المتعدي . الفتاوى لابن تيمية ٧/ ٦٣٥ .

مسألة: معاني الإسلام :

الإسلام: له معنيان في الشرع تدور على اشتقاق أصل الكلمة اللغوي:

الأول : الانقياد والاستسلام لأمر الله .

الثاني : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وعنوانه قول (لا إله إلا الله) .

وهذا الإخلاص بالتوحيد داخل في الانقياد والاستسلام .

مسألة : أقسام الإسلام :

الأول : الإسلام الكوني القدري الربوبي : طوعاً وكرهاً وهذا لا ثواب فيه يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣ ، أي خضع وانقاد .

الثاني : الإسلام الشرعي الديني الأمري الألوهي: وهو اتباع الأمر والانقياد للشرع الذي أمر الله عباده به ، وهذا الإسلام الذي يثاب العبد عليه ويحمد عليه ولأجله قامت السموات والأرض ، وينقسم إلى إسلام عام ، وإسلام خاص وهو شرع نبينا محمد ﷺ ، وقد قرر هذا المعنى شيخ الإسلام في كتاب الإيمان .

المسألة الثانية : المراد بالإسلام في الشرع :

التعريف الشرعي للإسلام يحمل نفس المعنى اللغوي القائم على الانقياد.

قال الأزهري في تهذيب اللغة: (يقال فلان مسلم فيها قولان :

أحدهما : هو المستسلم لأمر الله . والثاني : هو المخلص لله العبادة) .

وقال الرازي في تفسيره : الإسلام في أصل اللغة يأتي لثلاثة معانٍ:

١ - الانقياد والمتابعة ٢ - السلم والسلامة والبراءة ٣- الإخلاص في العبادة .

وأفضل من عرف الإسلام وأتى بحقيقته وأوضحه وفسره وبين مبادئه وأصوله وقواعده وأركانه، بتعريف جامع مانع الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله :

هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

فجمع بتعريفه الحقيقة الشرعية للإسلام وأصوله، ووافق تعريفه معانيه في اللغة التي ذكرها اللغويون من : الإخلاص والانقياد والسلامة والبراءة .

شرح تعريف الإسلام :

أولا: الاستسلام لله بالتوحيد :

ومعناه : الإذعان والانكسار والذل والخضوع لله بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

والاستسلام لله بتوحيده في ربوبيته: بأن يعتقد ويقر ويؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه ، وأنه القادر على كل شيء والعالم بكل شيء مما يثمر تعظيمه .

والاستسلام لله بتوحيده في أسمائه وصفاته: باعتقاد الكمال المطلق المقدس له وحده من جميع الوجوه، وتنزيهه عن كل نقص وعيب، وإثبات كل ما أثبته الله لنفسه من دون تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تكييف .

والاستسلام لله بتوحيد ألوهيته : يتحقق بالذل لله والخضوع له وطاعته والانقياد له بعبادته وحده لا شريك له والكفر بكل ما يعبد سواه والبراءة منه، والقيام بحقه والالتزام بدينه وامتثال شرعه وحكمه وأمره وعدم مخالفة ذلك.

فائدة: لا يقبل استسلام لله ولا إسلام وانقياد بلا توحيد، فلو استسلم العبد لله ولغيره لكان مشركاً ولا يعتبر مسلماً، فالمسلم الحق هو من لا يعبد إلا الله ولا يعظم إلا الله، فكما أنه ليس له رب سوى الله فكذلك لا معبود له ولا إله غير الله .

فائدة : قيام الاستسلام لله بالتوحيد على القول والعمل :

يكون بالقول والاعتقاد والعمل ولا يكفي أحدها، ولا يسمى المسلم مسلماً بما في قلبه من التوحيد، بل لابد من قوله التوحيد بلسانه وعمله التوحيد بجوارحه ظاهراً، حتى يتحقق منه وصف الإسلام المقتضي للاستسلام الذي هو الآخر عمل وقول، فمن لم يقم به الركن العملي فليس بمستسلم، ومن ثم ليس بمسلم والإسلام هو أمر عملي ظاهر كما سيأتي وليس في الباطن .

فائدة : لا يكون التوحيد بدون استسلام :

كما أن الاستسلام بلا توحيد لا يقبل وصاحبه يعتبر مشركاً غير مسلم، كذلك التوحيد بلا استسلام لا يقبل ويعتبر صاحبه كافرا مستكبرا. وتقدم في الانقياد كلام ابن تيمية .

ووجه إدخال الاستسلام على التوحيد، ليتبين الجانب التعبدي الانقيادي القائم على العمل الظاهر وليس مجرد الباطن ، وهذا من سعة فقه الإمام صاحب التعريف .

فائدة: الاستسلام القدري القهري لا يدخل في العبادة وليس هو المقصود بالإسلام الشرعي كما سيأتي .

ثانيا: الانقياد له بالطاعة : هذا يعتبر الركن الثاني للإسلام :

ومعناه : فعل الواجبات والأوامر وترك المحرمات والنواهي.

وبعبارة أخرى عبادة الله وطاعته التي هي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والتروك الظاهرة والباطنة .

والانقياد هو الخضوع والذل والامتثال وليس مجرد القبول والإقرار فهذا لا يكفي .

والانقياد يقوم على ركنين : ركن قلبي باطني ، وركن عملي ظاهر .

وهذا الركن العملي هو الفيصل بين أهل السنة والمرجئة، وهي مسألة الأعمال ودخولها في الإيمان وكفر تاركها بالكلية ، فالإسلام والدين بلا انقياد يجعله دينا أجوف لا فائدة منه ولا هيبة له ولا معنى فيه ولا ثمرة به لأن القول بدون عمل يصدقه ويحققه هو كعدمه .

فائدة : لا تقبل الطاعة بدون انقياد :

فالانقياد والطاعة قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، بل ويفسر كل منهما الآخر، فطاعة الله بدون انقياد يورث البدع وعدم المتابعة لرسوله وامتثال شرعه

وأمره وفعل ما أمر، كما أن الانقياد لله بدون طاعة يورث الكبر والإباء والاستكبار عن عبادته والإعراض عن دينه، والعكس كذلك .

فائدة : دخول أركان الإسلام في الانقياد بالطاعة :

أركان الإسلام ومبانيه القائمة على الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبمجموعها يحصل الانقياد بالطاعة الذي هو الإسلام، وبالشهادتين اللتين هما التوحيد يحصل صحة الإسلام وركنه الأول وهو الاستسلام لله بالتوحيد .

فائدة : دخول توحيد المتابعة في الانقياد بالطاعة :

توحيد المتابعة القائم على شهادة (أن محمداً رسول الله) : لأن عبادة الله لا تقبل إلا إذا كانت موافقة لما جاء به رسوله، وقدمنا الكلام عن الانقياد للرسول ﷺ .

ثالثا: البراءة من الشرك وأهله :

وسيأتي الكلام عن هذه المسألة في فصل مستقل .

مسألة : الألفاظ المرادفة للفظ الإسلام :

الطاعة – الاستسلام – العبادة – الانقياد – الإذعان – الامتثال – الالتزام – الشريعة – الدين .

فكل هذه العبارات يجتمع فيها معنى الانقياد والتسليم والاستسلام والإذعان، فهي ألفاظ لمعنى واحد وتتقارب كثيرا في الدلالة .

المسألة الثالثة: أدلة الإسلام من القرآن والسنة :

ورد الإسلام في آيات كثيرة من كتاب الله منها قوله تعالى:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ المائدة: ٣ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ لقمان: ٢٢ ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ آل عمران: ٨٣ ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا ﴾ النساء: ١٢٥ ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤ ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ غافر: ٦٦ ﴿ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ الحجرات: ١٧ ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ الزمر: ٥٤ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩ ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥ ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾ الأنعام: ١٢٥ ﴿ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ ﴾ التوبة: ٧٤ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الزمر: ٢٢ ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ فصلت: ٣٣ ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٦٧ ﴿ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٨٠ ﴿ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ﴾ الفتح: ١٦ ﴿ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ .

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الحج: ٧٨.

وهذه الآية من أعظم الآيات التي بينت الإسلام وفسرته وذكرت شيئاً من خصائصه وأن الله تعالى اجتبانا واصطفانا به .

ثانيا الأدلة من السنة المفسّرة للإسلام :

١- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم .

وقد وردت روايات له بدل لفظ الشهادة وهي :

(إيمان بالله ورسوله) (أن يوحد الله) (أن يعبد الله) .

٢- عن عمرو بن عَبَسَه السلمي ﷺ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال ما الإسلام؟ قال : (أن تسلم قلبك لله ﷻ وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك) . قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان) قال: وما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت) . رواه أحمد.

٣- حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً وفيه : (فتجيء الأعمال يوم القيامة .. ثم يجيء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام . فيقول الله تعالى : (إنك على خير ، بك اليوم آخذ وبك أعطي). رواه أحمد.

٤- قال ﷺ:(بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) مسلم.

٥- قال ﷺ : (الإسلام علانية والإيمان في القلب) رواه أحمد.

٦- قال ﷺ : (الإسلام ذلول لا يركبه إلا ذلول) رواه أحمد والهروي .

المسألة الرابعة : أقوال السلف وأهل العلم في حقيقة الإسلام :

قال الطبري في تفسيره : (الإسلام هو : **إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له**).

وقال أيضا : (الطاعة له وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه في العبودية والألوهية).

وفي تفسير الألوسي روح المعاني قال علي بن أبي طالب ﷺ : (الإسلام هو التسليم، والتسليم اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل، وأن المؤمن من يعرف إيمانه في عمله والكافر يعرف بإنكاره).

وقال قتادة : (الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء به رسوله من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياؤه لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به). أخرجه الطبري .

وقال أبو العالية : (الإسلام الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع). أخرجه الطبري .

وقال البغوي : (أسلمت وجهي: انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجميع جوارحي وخص الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان فإذا خضع خضعت الجوارح).

وقال ابن قتيبة : (الإسلام هو الدخول في السلم أي الانقياد والمتابعة).

وقال المروزي : (هو خضوع لله بالطاعة) .

وقال القرطبي : (الإسلام في الشرع الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية) .

قال ابن رجب: (الإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده لله).

قال ابن تيمية: (**الإسلام يجمع معنيين** :

أحدهما : الانقياد والاستسلام فلا يكون مستكبرا .

والثاني : إخلاص ذلك وإفراده فلا يكون مشركا) . ٧/ ٦٣٥. والصارم .

وقال في قاعدة التوسل : (**ودين الله الذي هو الإسلام مبني على أصلين** :

الأول : أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيء .

الثاني: أن يعبد الله بما شرعه على لسان رسوله ﷺ .

وهذان هما حقيقة قولنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة وتعظيما ومحبة وخوفا ورجاء وإجلالا وإكراما ، والله ﷻ له الحق لا يشاركه فيه غيره) .

وقال ابن تيمية في التدمرية: (**فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده** :

فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً .

ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته .

والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر . والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده ، فهذا دين الإسلام الذي لايقبل الله غيره). الفتاوى ٣/ ٩١ .

وقال في التدمرية: (أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة) .

وقال : (إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه) ١٠/ ٤٩ .

وقال : (وحقيقة الفرق أن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دونما سواه، فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب والجوارح) الفتاوى ٧/ ٢٦٣ .

كما أن الإيمان بمحمد ﷺ لا يتم ولا يصح إلا بركنين تصديقه والانقياد له بالتزام شريعته .

وقال ابن القيم : (والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسوله واتباعه فيما جاء به، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل) طريق الهجرتين ٤٤٩ .

وقال ابن كثير ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ : (أمر الله المؤمنين أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره وقال ابن عباس أدخلوا في الطاعة).

وقال محمد بن عبد الوهاب في الدرر ٢/ ٢٢: (أصل الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والموالاة فيه وتكفير من تركه .

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله والمعاداة فيه وتكفير من فعله).

وقال : (أن التوحيد يكون على القلب بالاعتقاد وبالحب والبغض ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تكفّر فإذا اختل واحدٌ من هذه الثلاث كفر وارتد) .

وقال عبدالرحمن بن حسن : (الإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالى و ينقاد له بالتوحيد والطاعة كما قال تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ وإحسان العمل لابد فيه من الإخلاص ومتابعة ما شرعه الله ورسوله) .

وقال : (أصل الإسلام وأساسه أن ينقاد العبد لله تعالى بالقلب والأركان مذعناً له بالتوحيد) .

المسألة الخامسة: إطلاقات الإسلام إلى عام وخاص :

الأول : الإسلام العام :

وهو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً، ويشترك فيه الجميع وهو التوحيد وعبادة الله وحده والكفر بالطاغوت وقول لا إله إلا الله وعموم الانقياد لشرع الله تعالى والامتثال لأوامره والالتزام بدينه، قال تعالى عن الأنبياء :﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾. وفي وصية يعقوب لبنيه بالإسلام والتوحيد: ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٣ .

وقال ﷻ عن نوح في سورة يونس ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

وإبراهيم : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

وموسى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ يونس: ٨٤.

وقال عن الحواريين أصحاب عيسى : ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٥٢ .

وقال عن بلقيس وسليمان ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ النمل: ٤٤.

الثاني : الإسلام الخاص :

وهو الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وبعث به، واختص به من الدين والشريعة والمنهاج من الفرائض والواجبات والمنهيات .

يدل له قوله تعالى :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران ٨٥ .

وقال سبحانه : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣.

مسألة: الإسلام العام هو دين جميع الرسل والأنبياء وهو التوحيد وقول لا إله إلا الله والاختلاف إنما هو في الشرائع :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النحل: ٣٦ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ الحج: ٣٤ ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ﴾ الشورى: ١٣.

وأورد الله ﷻ القسمين التوحيد والشريعة في آية:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ الحج: ٣٤ .

ويدل لهذا الأصل قوله ﷺ : (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد) رواه البخاري . فالتوحيد واحد والشرائع شتى .

المسألة السادسة: أنواع الإسلام : حقيقي وحكمي :

الإسلام الحقيقي :

هو القائم بالمسلم المؤمن والذي يوافق باطنه ظاهره، ويدخل به صاحبه الجنة، وهو ضد الكفر ويعتبر مسلماً حقاً وحكماً ويترتب عليه أحكام الآخرة.

الإسلام الحكمي الاسمي:

وهو الذي نحكم على صاحبه وفاعله بالإسلام الظاهر دون الباطن، والذي تجري به أحكام الدنيا من النكاح والميراث والجنائز الذبائح وعصمة الدم وغيرها.

وهذا يثبت بالإقرار بالشهادتين أو إظهار شعائر الإسلام .

فمعنى حكمي : أي أن صاحبه قد أتى بما يحكم بإسلامه ونجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا فهو الحكم على الظاهر .، ولو لم يكن في الحقيقة مسلماً عند الله بل يكون مرتداً كافراً أو مشركاً أو منافقا، كما كان الحال مع المنافقين زمن النبي ﷺ.

ولا يعني حكمنا عليه بالإسلام أننا لا نكفره متى فعل مكفراً وظهر منه كفراً.

قال الثوري وابن المبارك : (الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام ولا ندري كيف هم عند الله) الإبانة الصغرى ص: ١٢٢

وقال البربهاري : (وإذا لم يفعل شيئاً – من النواقض – فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة).شرح السنة ٧٣ .

ويدل لهذا الأصل قوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) متفق عليه.

وقوله تعالى :﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ ﴾ التوبة: ٥.

فجملة : ﴿ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ ﴾ (وحسابهم على الله) :

تدلان على الإسلام الحكمي، وأن الحقيقي هو ما يحاسب عليه الله بالجنة ويقبله، وإذا لم يقبله فإنه يبقى حكمنا على صاحبه بالإسلام لقوله التوحيد ويعصم

دمه في الدنيا وأما في الآخرة فمصيره النار لكفره ونفاقه باطنا، كما يدل لهذا الأصل خبر الذي أسلم فقتله أسامة بن زيد .

وقوله : (إلا بحقها) : يدل على أن من فعل كفراً وأظهره أو علمنا به فإن قوله لكلمة التوحيد لا تعصم دمه، وكذا لو زنا وهومحصن أو قتل فإنه يقتل ويهدر دمه .

المسألة السابعة : لا يقبل الإسلام إلا بإيمان يصححه :

وهذه قاعدة مقررة لا يكون إسلام إلا بإيمان ولا يكون إيمان إلا بإسلام.

فلابد للإسلام حتى يكون عند الله مقبولاً من إيمان يصححه، وهو أصل الإيمان وليس الإيمان الكامل، كما أنه لابد للإيمان حتى يقبل من إسلام يصححه وليس الإسلام المطلق الكامل، وتقدم بيان ذلك.

ويدل لهذا الأصل الموجب لاجتماع الإيمان والإسلام قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ .

وحديث جبريل عند مسلم : ما الإسلام؟ وما الإيمان؟

وفي آخره : هذا جبريل جاء: يعلمكم أمور دينكم . مما يدل على أنه لا بد من اجتماع الإسلام مع الإيمان ولا يكفي أحدهما عن الآخر .

المسألة الثامنة: مراتب الإسلام :

الأولى : الظاهر من القول والعمل وهو المباني الخمسة .

الثانية : أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن وهذا الإسلام الحقيقي .

قال ابن تيمية في الإيمان والصارم: (الإسلام يجمع معنيين :

الأول: الانقياد والاستسلام .والثاني: إخلاص ذلك وإفراده .وله معنيان :

الأول: الدين المشترك وهو عبادة الله لا شريك له الذي بعث به جميع الأنبياء.

والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشريعة والمنهاج .وله مرتبتان :

إحداهما : الظاهر من الأقوال والعمل ، وهو المباني الخمسة .

والثانية : أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن) .

المسألة التاسعة: كفر من زعم صحة دين اليهود والنصارى وأنهم مسلمون :

من الكفر البواح المجمع عليه اعتقاد صحة أي دين غير دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ المبني على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة والزكاة والحج والصوم . وقد بينت هذه المسألة في شرح نواقض الإسلام الثالث.

يدل لهذا الأصل قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران:٨٥ وقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ النساء:١١٥. وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ النساء: ٦٥: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧. وآيات كثيرة في هذا الباب .

وقوله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار) رواه مسلم. وحكم عيسى عليه السلام آخر الزمان بشريعة محمد ﷺ .

وقوله ﷺ : (لو أن موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) رواه الترمذي.

وقد أجمع العلماء على كفر من ظن أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى .

إلا أن هذا الأصل العظيم وجد من يسعى لهدمه من المتسمين بالمفكرين وأدعياء السلام والحوار والتعايش ولقاء الحضارات والتقريب بين الأديان، وأن

اليهود والنصارى من زمن الرسول ﷺ إلى يومنا مسلمين بنص القرآن وليسوا كفاراً وأنهم ناجون من النار وأن اليهودية والنصرانية أديان سماوية مُتبعة يجوز اتباعها والبقاء عليها . وعقدوا لكفرهم هذا وردتهم المؤتمرات واللقاءات لتأصّيل هذا الكفر البواح والردة الصراح والعياذ بالله منهم ومنها .

المسألة العاشرة : خصائص الإسلام ومزاياه:

١ – أنه دين عالمي للعرب والعجم والإنس والجن .

٢ – أن الله تعهد بحفظه ونصرة أتباعه واصطفى أصحابه.

٣– أنه ناسخ لجميع الأديان .

٤ – أنه دين يسر وسماحة، وموافق للفطرة، ويلائم جميع الأحوال والأزمان.

٥ – أنه لا يقوم إلا بالجهاد والكفر بالطاغوت وعداوة الكفار وولاء المؤمنين.

٦ – أنه حنيف عن الشرك .

٧– أنه لا يصح إلا بالعمل والانقياد .

٨– أن الله شهد بأنه هو الدين الذي عنده ، وأن الله رضيه وأتمه وأكمله .

٩ – أن الله الذي سمانا مسلمين وليس غيره .

١٠ – أن الدخول اجتباء من الله وفضل ومنة .

١١ – أن أهل الإسلام أهل الشهادة على كل الأمم .

وهذه السمات والفضائل وغيرها ذكرها ربنا في آية الحج ، قال تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وفي غيرها من كتابه .

قاعدة : الدخول في الإسلام فضل من الله واجتباء .

إن من القواعد المقررة أن الدخول في الإسلام أو الولادة عليه أمر متعلق بكرم الله للعبد وفضل واجتباء منه واصطفاء أن جعلنا مسلمين من أمة محمد ﷺ ومن خير أمة وأتباع أفضل رسول ومتدينين بأكمل دين وشريعة ويدل لهذا الأصل قوله تعالى في آية : ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ الآية الحج: ٧٨ فله الحمد وحده .

المسألة الحادية عشرة : علاقة الإسلام بالمسميات الشرعية :

١ - علاقة الإسلام بالعبادة : العبادة أعم من الإسلام، فالإسلام هو بمعنى الانقياد والالتزام والتسليم،وهو بذلك يدخل في عموم العبادة. وقريب منه الطاعة .

قال ابن كثير في تفسيره: (وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور ، وذلك هو حقيقة دين الإسلام ، لأن معنى الإسلام الاستسلام لله تعالى المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع) .

٢- علاقة الإسلام بالدين .

الدين: من دان بكذا إذا التزم به وانقاد له فهو يحمل نفس معنى الإسلام، إلا أن الدين ينقسم إلى دين حق وهو الإسلام ودين باطل وهو كل دين غير الإسلام سواء كان ديناً باطلاً من أصله أو كان ديناً صحيحاً أصله ثم حُرّف وبعد ذلك نسخ كدين النصارى واليهود .

ومما يدل على أن الدين قسمان قوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ آل عمران: ٨٥﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦ولا يقال لكم إسلامكم ولي إسلامي، إذ الإسلام مصطلح خاص بدين الله ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩.

٣- علاقة الإسلام بالشريعة :

الشريعة بمعناها الخاص وعند الإطلاق اسم لكل ما جاء عن الله ورسوله من الأخبار والأحكام في الأمر والنهي والعقائد وما يتعلق بأحكام الدين عموماً.

إلا أن إطلاق الشريعة على الأوامر والأحكام العملية أكثر.

والشريعة من عند الله ﷻ فهي أمره وفعله، فيوصف الله ﷻ أنه شرع للناس.

ولكل رسولٍ شريعة وشريعة نبينا ﷺ هي الإسلام ، والرسل ليست شرائعهم الإسلام الخاص بمحمد ﷺ، لكنهم دعوا للتوحيد الذي يوافق الإسلام العام.

ويقال في الشريعة مثلما يقال في الدين : حيث توجد شرائع باطلة كما قال عنها سبحانه ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١.

٤ – علاقة الإسلام بالتوحيد :

التوحيد جزء من الإسلام والإسلام أعم منه فهو يتضمن التوحيد والانقياد بالطاعة بفعل الفرائض من الصلاة وما تحتها وترك المحرمات .

وإن كانت الطاعات والقربات والفرائض فعلها من لوازم التوحيد وليست من مدلولاته التطابقية ولا التضمنية وإنما اللزومية، فهو خارج عن مدار التوحيد وماهيته إلا أنه لازم له .

المسألة الثانية عشرة : علاقة الإسلام بالإيمان وحالات ذكر الإسلام :

ذهب بعض أهل السنة إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، والصحيح أنهما يختلفان .

كما اختلفوا في أيهما الأفضل والأكمل . والصحيح أن الإيمان أفضل .

يدل له أنه لما سُئل النبي ﷺ أي الإسلام أفضل؟ قال: (الإيمان) رواه أحمد.

ثم اختلفوا في التفريق بين الإسلام والإيمان على أقوال أصحها :

أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة والانقياد والكلمة والشهادتان .

والإيمان هو ما في القلب من التصديق والإقرار والمحبة .

ومما يدل على ذلك حديث: (الإسلام علانية والإيمان في القلب) رواه أحمد وما يفهم من حديث جبريل.

مسألة : الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في اللفظ افترقا في المعنى ، وإذا افترقا في اللفظ اجتمعا في المعنى وفسر كل واحد منهما بالآخر .

ومن الأدلة على وجود التفريق بين الإسلام والإيمان :

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ الزخرف: ٦٩ ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ الحجرات: ١٤ ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الذاريات: ٣٦ ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ الأحزاب: ٣٥ .

وقول الرسول ﷺ :حين قيل له فلان مؤمن قال : (أو مسلم).

وقوله ﷺ : (الإسلام علانية والإيمان في القلب) رواه أحمد في المسند.

وحديث جبريل في التفريق بين الإسلام والإيمان وغير ذلك .

مسألة : حالات ذكر الإسلام :

يذكر الإسلام عاماً مطلقاً ويذكر مقيداً مع الإيمان فيكون له معنىً خاصاً وهو أعمال الجوارح والانقياد .

فإذا أطلق فهو دين الله الذي اختاره لعباده وارتضاه لهم وتناول جميع الطاعات فرضها ونفلها الظاهرة والباطنة وفعل جميع ما يحب الله وترك جميع ما يكرهه الله وينهي عنه وأما إذا قيد فبحسب ما قيد به .

المسألة الثالثة عشرة : مراتب الدين :

الإسلام والإيمان والإحسان .

أعلاها الإحسان له ركنان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ثم الإيمان:وأركانه ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والقدر .

ثم الإسلام : وله خمسة أركان .

وقد وضح هذا الأمر حديث جبريل وقوله ﷻ: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣٢.

وسميت مراتب : لكونها ليست في منزلة واحدة بل بعضها أفضل من بعض .

المسألة الرابعة عشر : أركان الإسلام :

للإسلام خمسة أركان هي الواردة في حديث جبريل ويسميها أهل العلم مباني الإسلام ويزيد عليها بعض أهل العلم ركناً سادساً وهو الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإليك أركان الإسلام :

الأول : التوحيد : الشهادتان :(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله).

الثاني : إقام الصلاة .

الثالث : إيتاء الزكاة .

الرابع : صوم رمضان .

الخامس : الحج .

وتارك التوحيد كافر وكذا الصلاة ، وأما الزكاة والحج والصوم فيكفر الممتنع عنها أما تاركها تهاوناً والمقصر فيها فكفره محل خلاف. وسيأتي مزيد بيان للمسألة.

فائدة : سر حصر بناء الإسلام على الخمس :

قيل لأن هذه الأركان الخمسة أظهر شرائع الإسلام وأعظمها ، وبالقيام بها يتم استسلام العبد وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده .

قال ابن تيمية : (والتحقيق أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً ، والذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان فيجب على كل من كان قادراً عليه ليعبد الله بها مخلصاً له الدين وهي هذه الخمس، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب المصالح فلا يعم وجوبها جميع الناس بل إما أن تكون فرضاً على الكفاية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما أن تجب بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له عليه كبر الوالدين وصلته الأرحام وحقوق المسلمين والزوجين والجار والفقراء ونصرة المظلوم وإذا أبرءوا منها سقطت) .

المسألة الخامسة عشر : لا يصح الإسلام إلا بالكفر بالطاغوت :

لا يصح الإسلام ولا يقبل ولا يعتبر إلا إذا قام فيه الكفر بالطاغوت المتضمن البراءة من أديان المشركين والكافرين ومعاداة أتباعها وتكفيرهم وبغض كل كفر وشرك والبراءة منه .

وهذه هي ملة إبراهيم التي أمرنا الله تعالى بإتباعها وهي الكلمة الباقية إلى يوم الدين وتقدم تقرير هذا الأصل في مواضع .

وقد قرن الله تعالى بين ملة إبراهيم مع الإسلام وترك الشرك في مواضع .

كما فسر العروة الوثقى بالإسلام في لقمان وفي موضع سورة البقرة بالكفر بالطاغوت مما يدل على أن الإسلام لا يقبل بدون الكفر بالطاغوت .

فائدة : جعل الله ﷻ الإسلام هو العروة الوثقى :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ لقمان: ٢٢، وفي الآية الأخرى في سورة البقرة أخبر أن المستمسك بالعروة الوثقى هو من كفر بالطاغوت وآمن بالله ، وهذا من أعظم ما يفسر حقيقة الإسلام ويبيّن معناه، وأنه بمعنى الإيمان والتوحيد والكفر بالطاغوت .

المسألة السادسة عشرة : قيام الإسلام والرضا به على الانقياد والعمل :

الانقياد ركن في الإسلام والإيمان وشرط في تحقيق التوحيد .

والانقياد يعني العمل الظاهر وليس مجرد الانقياد القلبي كما تزعمه المرجئة فالإسلام قائم على العمل يزول بشرطه، بل إن من القواعد المقررة أن من لم ينقد للشريعة ويذعن بالطاعة للرسول ﷺ فإنه لم يتحقق فيه الرضا بالإسلام والذي هو شرط للقبول عند الله وفي الحديث : (رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً) ، فلا يتحقق الإسلام فضلاً عن الرضا به إلا بالقبول والانقياد له .

والرضا يتم بالقبول والانقياد والمحبة والفرح ، فبمجموع هذه الأوصاف يكون الرضا، وإلا فهو منتفٍ ولو ادعاه صاحبه . كما أن الإسلام يشمل فعل الواجبات والقربات وامتثال الأوامر وترك المحرمات والمنهيات، وهذا هو الانقياد .

ومن قال من أهل العلم : الإسلام الكلمة فالمراد الذي يدخل العبد به في الإسلام هو الكلمة وهو قول الشهادتين، لا أن الإسلام الواجب هو الكلمة وحدها ولا أن العبد لا يؤاخذ بعدها بتركه الأعمال ومباني الإسلام .

قال ابن تيمية : (الإسلام دين والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما فالإسلام في الأصل من باب العمل عمل القلب والجوارح) .

والإيمان بمحمد ﷺ لا يصح إلا بركنين: تصديقه والانقياد له بالتزام شريعته.

المسألة السابعة عشرة : الإسلام يتبعض ويستثنى منه ويزيد وينقص :

الإسلام منه الكامل ومنه الواجب والمجزئ ومنه الناقص مع صحته فهو مثل الإيمان يزيد وينقص ويتبعض .

يصح الاستثناء منه إذا لم يقصد الشهادتين وأصل الإسلام أما كماله من فعل الواجبات وترك المحرمات فيقع الاستثناء فيه .

المسألة الثامنة عشرة : مسمى اليهودية والنصرانية :

هذه من المسميات المبتدعة في دينهما ، فإن الله تعالى لم يرض لهم غير الإسلام :

عن سلمان ﷺ: قلت: يارسول الله ما تقول في دين النصارى؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا خير فيهم ولا في دينهم). رواه الحاكم وقال الذهبي في السير جيد الإسناد .

قال أنس ﷺ: (رغبت اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم ، وابتدعوا اليهودية والنصرانية وليست من الله ،وتركوا ملة إبراهيم:الإسلام) أخرجه الطبري .

مبحث : الدين والملة والشريعة

تعريف الدين :

الدين يطلق على الإلزام والالتزام وعلى الطاعة والانقياد والخضوع وعلى ما يتدين به العبد من حق أو باطل وعلى القهر والاستعلاء والغلبة وعلى الجزاء والمكافأة والحساب وعلى العادة والشأن والسيرة والطريقة .

فيقال دِنته ودِنت له أي أطعته (تدين لهم بها العرب) أي تطيعهم وتخضع لهم.

و(الكيِّس من دان نفسه) قال أبو عبيد: أي أذلها واستعبدها، وقيل حاسبها .

ويقال دِنته: جزيته، ويوم الدين يوم الجزاء.ومنه:كما تدين تُدان.

وتقول:ما زال ذلك ديني وديدَني أي عادتي. ويقال: دِنتُه أي سُسْتُه وملَكْته.

والدين: ما يتدين به الرجل ويلتزمه ويخضع له وينقاد له .

والدين لله هو طاعته والتعبد له والذل له .

قال ابن تيمية : (الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين إذا خضع وذل، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده).

مسألة : يتعدى الدين بنفسه وبالباء واللام :

فيقال: دانه إذا حكمه وقهره وملكه وغلبه .

ودان بكذا إذا التزم طريقة وعادة ومذهباً . ودان له أي خضع له وأطاعه .

مسألة : الدين قريب من معنى العبادة والإسلام والطاعة والانقياد والملة.

وبينها فروق يسيرة بينتها في موضعها .

والدَّيان : من أسماء الله ومعناه الحكَم القاضي والحسيب المجازي ، والقهار.

مسألة: الدين يضاف إلى الله وإلى العبد :

قال ابن تيمية رحمه الله : (الدين مصدر والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، يقال دان فلان فلانا إذا عبده وأطاعه، كما يقال دانه إذا أذله، فالعبد يدين لله أي يعبده ويطيعه، فإذا أضيف الدين إلى العبد فلأنه العابد المطيع، وإذا أضيف إلى الله فلأنه المعبود المطاع).الفتاوى ١٥/ ١٥٨.

ودليل إضافة الدين للعبد : ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ النساء: ١٤٦ ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ النور: ٢٥ ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ﴾ النور: ٥٥ ﴿ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ ﴾ النساء: ١٧١ .

ودليل إضافة الدين لله: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ آل عمران: ٨٣ .

مسألة: المراد بالدين في كثير من الآيات هو الحكم والتشريع :

إن أخص ما يدخل في مسمى الدين ومعناه : الحكم والقضاء والتشريع والعرف، وكذلك الطاعة والاتباع والانقياد والخضوع والذل لسلطة عليا قاهرة.

وعليه: فإن من يدخل في طاعة الله تعالى، وينقاد إلى حكمه وشرعه، ويتبع ما أنزل على نبيه ﷺ فهو داخل في دين الله الإسلام، وهو عابد له سبحانه وتعالى.

ومن يعرض عن طاعة الله تعالى وعن حكمه وشرعه، ويطيع غيره ويحتكم إلى حكم غيره وشرع غيره ولو في جزئية من جزئيات حياته فهو داخل في دينه، وعابد له من دون الله، ولو زعم بلسانه أن دينه الإسلام وأنه من المسلمين.

وعليه فهذه القوانين الوضعية السائدة والحاكمة في أمصار المسلمين، هي دين وإن لم يسمها أهلها بذلك، ومن دخل فيها أو تابع الطغاة عليها، أو رضي بها فهو في غير دين الله وهو في دين الطاغوت وإن زعم الإسلام وتسمى بأسماء المسلمين. ثم إن كل منهاج أو نظام أو دستور أو قانون لا يقوم على أساس الإسلام والطاعة لله ﷻ، والمتابعة لرسوله ﷺ، فهو دين باطل وطاغوت يتعين البراءة منه والكفر به.

تنبيه: لكي يدرك المرء في أي ملة هو وعلى أي دين، أهو في دين الله وطاعته وشرعته أم في دين غيره، فلا بد له من أن يتعلم أوامر الله فيمتثلها ونواهيه فيجتنبها.

مسألة: التدين ضرورة فطرية:

ما من امرئ في الوجود إلا وله دين يدين به ومعبود يعبده، حتى ذاك الملحد الذي يكفر بوجود الله تعالى وبالأديان السماوية وغيره، له دين يدين به وينهجه في حياته، وله آلهته الخاصة به التي تشرع له فيتبعها ويعبدها من دون الله، ففر بزعم التحرر من عقدة الأديان من الدين الحق إلى الدين الباطل، ومن العبودية الحقة التي توافق الفطرة البشرية إلى العبودية الباطلة الدخيلة.

مسألة: علاقة العبادة بالدين:

الدين أصله من الانقياد والذل وما يتدين به المرء ويلتزم به ، فهو قريب من معنى الإسلام ويدخل في عموم العبادة كما قاله ابن تيمية في العبودية.

وقد يكون الدين على غير وجه التعبد فيقال مثلاً الدمقراطية دين الغرب فهو بمعنى المنهج والطريقة وليس من باب التعبد .

مسألة : الدين منه الحق وهو دين الإسلام ومنه الباطل كدين المشركين :

ويدل لهذا الأصل أن الدين قسمان قوله ﷻ: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦، ولا يقال لكم إسلامكم ولي إسلامي، أما الإسلام فمصطلح خاص بدين الله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ آل عمران: ٨٥ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل عمران: ١٩أي الدين المقبول.

مسألة : دخول التوحيد والشرك في الدين :

أخبرنا الله ﷻ أن الدين له وحده وأمرنا بتوحيد الدين لله وأن نجعله خالصا له فلا ندين لغيره ولا نمتثل ونلتزم بأي دين غير دين الإسلام :

قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣ ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ النحل: ٥٢ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ الصف: ٩ ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ١١ ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ الزمر: ١٤ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الروم: ٣٠ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ البقرة: ١٣٢ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ آل

عمران: ١٩ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ التوبة: ٣٦ ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ التوبة: ٢٩ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ .

وأمر ﷻ بالقتال حتى يكون الدين لله وحده ولا يكون فيه شرك : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ الأنفال: ٣٩ ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٣ والفتنة هنا الشرك .

وأنكر ﷻ على من جعل لله شريكا يشرع ويسن الدين ومن أطاع غيره وجعل له رباً يسن له الأحكام ويحلل ويحرم ويشرّع له الدين في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١ ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ الأنعام: ١٣٧ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٢١ ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ النساء: ٦٠.

قال ابن تيمية : (والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله، وجب القتال حتى يكون كله لله) . الفتاوى ٢٨/ ٥٤٤.

قال الإمام الطبري: (يكون الدين لله: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره) .

وذكر سبحانه الأديان الكفرية الشركية في مثل قوله :

﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم ﴾ آل عمران: ٢٤ ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ غافر: ٢٦.

وأخبر عن حرب الكفار لدينه وتركهم له: ﴿ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ الأنعام ٧٠ ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٧ ﴿ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ

﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ التوبة: ١٢ ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ ﴾ الأنفال: ٤٩ ﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ﴾ الممتحنة: ٩ ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ المائدة: ٣.

فائدة: قد تكون الملة كفرية شركية: ﴿ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ يوسف: ٣٧ ﴿ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ص: ٧ ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾.

مبحث : دين الله هو ملة إبراهيم وهو الإسلام

أثنى الله ﷻ على إبـراهيم، وأمرنـا باتّبـاع ملتـه، وجعـل الـسفاهة في تركهـا، وأخبرنا أنها تقوم على التوحيد والإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت والجهاد :

فقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ ﴾ البقرة: ١٣٠ ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ النحل ١٢٣ ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الحج: ٧٨.

مسألة : أهمية ملة إبراهيم عليه السلام وأنها على الفور وليست على التراخي :

اعلم أن ملة إبراهيم التي هي إخلاص العبادة لله والكفر بالطـاغوت أول مـا يجب على المسلم معرفته والعمل به، ولا تنظر إلى ما يزعمه بعض المنتسبين للعلم من أن ملة إبراهيم آخر مرحلة في الـدعوة فـلا يُبـدأ بـالكفر بالطـاغوت وأنـه يعـارض الدعوة بالحكمة والحسنى، فدعوا لتوحيد الكلمـة دون كلمـة التوحيـد، واعتـذروا بمصلحة الدعوة وخوف الفتنة، ونسو أن أعظم فتنة الشرك وكتم التوحيد والتلبيس في الدين، ولكي يتبين لك الحق وضلال هؤلاء تدبر هديه ﷺ من أول ما بُعث بقوله في المدثر ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ حيث كان مظهرا الكفـر بالطـاغوت مـع لينـه وخُلقِـه ولا

تعارض بينهما، فهو القائل زمن الاستضعاف لعمرو بن عبسه:(**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان**) رواه مسلم، فانظر كيف أنه لم يقل أرسلت بالتسامح والإخاء، أو بصلة الأرحام فقط، مما يدل على أنه ﷺ لم يترك يوما واحدا عيب الشرك وأهله.

قال ابن القيم في الزاد في جهاده:(دخل الناس في الدين وقريش لا تنكر، حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة).

مبحث : الشريعة

الشريعة هي الطريقة والأمر والدين والحكم والمنهج.

والشريعة والدين والإسلام بمعنىً واحد .

مسألة : مقاصد الشريعة :

جاءت الشريعة بخمسة مقاصد وأمر الإسلام بحفظها وهي :

حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض والنسل ، والمال .

ومن مقاصدها الولاء والبراء ومخالفة الكفار وهي داخلة في حفظ الدين .

قال ابن تيمية : (وإذا كانت مخالفة الكفار سبباً لظهور الدين ، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فتكون مخالفتهم من أعظم مقاصد الشريعة) الاقتضاء ١٩٣ .

مسألة الشريعة قسمان :

الشريعة الإسلامية وهي ما كان مصدرها من الله وهي دين الإسلام كما في قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ .

الشرائع الكفرية الشركية وهي ما كان من غير الله وقد ذكرها الله ﷻ بقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٢١

مسألة : دين الإسلام يطلق على التوحيد والشريعة :

الإسلام بمعنى التوحيد وهو دين كل الرسل .

ودليله : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾.

وقد يسمى الإسلام بمعناه العام الذي هو التوحيد شريعة كما في قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الشورى: ١٣.

وبمعنى الشريعة الخاصة ، فلكل أمة جاءها رسول شريعة تخصهم .

ودليلها : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ المائدة: ٤٨ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ الجاثية: ١٨.

وورد القسمان في الآية ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ﴾ الحج: ٣٤ .

مبحث : الالتزام بالدين

المسألة الأولى تعريف الالتزام :

الالتزام من لزم الشيء إذ صاحبه وداوم عليه. وهو بمعنى الامتثال والانقياد.

وعرفه بعض أهل العلم بأنه : إيجاب الإنسان أمراً على نفسه إما باختياره وإرادته أو بإلزام الشرع إياه فيلتزمه امتثالاً وطاعة لأمر الشرع .

وقد عرّف بعض علماء الأصول التكليف بأنه : التزام مقتضى خطاب الشرع .

قال الشاطبي في الموافقات : (ومن شرط تعلق الخطاب إمكان فهمه لأنه إلزام يقتضي إلتزاماً) .

وقد عرف علماء الأصول المحرم بأنه: ترك المنهي عنه امتثالاً أو ترك ما يعاقب على فعله امتثالاً، والواجب ما يثاب فاعله امتثالا .

فالامتثال هو الالتزام وهو قصد الفعل والتقرب لله به وبطاعته والانقياد له .

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات : (الإلزام ضربان : إلزام بالتسخير من الله تعالى أو من إنسان وإلزام بالحكم والأمر).

فالالتزام هو وصف عملي ظاهر ، زائد عن الإقرار ، وهو بمعنى الانقياد .

المسألة الثانية : حكم الالتزام ومكانته وحكم تاركه :

الالتزام شرط في اعتبار الإسلام وصحة التوحيد . وتارك الالتزام كافر .

فالتزام الشريعة وأوامر الله وفرائضه وامتثالها، هو الذي قام عليه الـدين وهـو مدار العبادة وهو أصل الإسلام الذي يعود للاستسلام والانقياد والالتزام .

قاعدة: ضد الالتزام الامتناع ، وهو كفر وسيأتي الكلام عنه في آخر الكتاب.

المسألة الثالثة : درجات الالتزام :

يقال في الالتزام كما يقال في درجات الانقياد . أصل الالتزام تاركـه كـافر أمـا من عنده الأصل وقصر في كمال الالتزام فهو غير كافر لترك الكمال .

المسألة الرابعة: الأدلة الدالة على وجوب الالتزام:

ورد الإلـزام والالتـزام في نـصوص الـشرع في مثـل قولـه تعـالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ الفتح: ٢٦.

وقوله : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ هود: ٢٨ .

وقوله : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ الإسراء: ١٣.

وقال ﷺ : (من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة) رواه الترمذي .

وقال ﷺ : (تلزم المسلمين وإمامهم) رواه البخاري .

المسألة الخامسة: كلام أهل العلم في حقيقة الالتزام ومكانته:

قال ابن رشد في البيـان والتحـصيل : (حتـى يقولـوا لا إلـه إلا الله أي حتـى يسلموا فيقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله **ويلتزموا** سائر قواعد الإسلام) .

قال ابن يوسف المواق الغرناطي : (إن نطق الكافر بالشهادتين ووقف على شرائع الإسلام وحدوده ثم **التزمها** قُبِل إسلامه وإن أبى من **التزامها** لم يقبل منه إسلامه) منقول عنه من مواهب الجليل شرح مختصر خليل.

قال الخرشي : (ولا يتقرر الإسلام إلا بالنطق بالشهادتين مع **التزام** أحكامها).

قال ابن سعدي عند تفسير آية ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾:(من ترك هذا التحكيم المذكور غير **ملتزم** له فهو كافر ومن تركه مع **التزامه** فله حكم أمثاله من العاصين).

قال المعلمي:(جانب **الالتزام** هو المغلب في شهادة لا إله إلا الله)من رفع الاشتباه.

وقال الشنقيطي في تفسيره عند آية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ : (فمن كان امتناعه عن الحكم بما أنزل الله لقصد معارضته ورده، والامتناع عن التزامه ، فهو كافر ظالم فاسق وكلها بمعنى المخرج من الملة) .

قال ابن القيم: (ولم يحكم لهؤلاء اليهود الذين شهدوا له بالرسالة بحكم الإسلام، هذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السنة أن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده ولا معرفة القلب مع ذلك بل لابد فيه من **عمل القلب وهو حب الله ورسوله وانقياده لدينه والتزام طاعته ومتابعة رسوله** وهذا بخلاف من زعم: أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب وإقراره). مفتاح دار السعادة ١/ ٩٤.

وقال في عدة الصابرين: (من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي ... وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته **والتزام** شريعته ظاهراً وباطناً).

وقال أيضا في الصلاة : (إذا حكم بغير ما أنزل الله أو فعل ما سماه الله ورسوله كفراً، وهو ملتزم للإسلام وشرائعه فقد قام به كفر وإسلام) .

قال ابن حجر في فتح الباري : " فإن من لازم الإيمان بالله ورسوله التصديق بكل ما ثبت عنهما **والتزام** ذلك فيحصل ذلك لمن صدق بالشهادتين".

وقال:" إن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى **يلتزم** أحكام الإسلام " .

وقال:" فإن شهد بالرسالة **والتزم** أحكام الإسلام حكم بإسلامه".

قال ابن القيم في المفتاح عن الإيمان والإسلام:" لابد فيه من عمل القلب وهو حب الله ورسوله وانقياده لدينه **والتزام** طاعته ومتابعة رسوله ".

وقال في زاد المعاد: " **والتزام** طاعته ودينه ظاهراً وباطناً ".

وقال : " الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه **والتزام** بعض شرائعه يوجب التزام جميعها، ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات، إذ لو كان الشرع تابعا للهوى والشهوة لكان في الطبع ما يغني عنه وكانت شهوة كل أحد وهواه شرع له ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ". البدائع ٤/ ١٢٢.

قال ابن تيمية في الإيمان:" فعلم أن مجرد العلم والإخبار عنه ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن **للالتزام** والانقياد ".

وقال : (لا يكون مؤمنا إلا إذا التزم بالعمل مع الإقرار وإلا فلو أقر ولم يلتزم بالعمل لم يكن مؤمناً) الفتاوى ٧/ ٣٨٩ .

وقال: (لفظ الإقرار يتضمن الالتزام ثم إنه يكون على وجهين الإخبار في مقابل التصديق، وإنشاء الالتزام في مقابل **الامتناع عن الطاعة والانقياد** كما استعمل الإقرار في نفس معنى **التزام الطاعة والانقياد**) . الفتاوى ٧/ ٥٣٠ .

وقال : (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن ، وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا لكن عصى واتبع هواه فهو بمنزلة أمثاله من العصاة ... ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر). منهاج السنة ٥/ ١٣١.